الملاحظات

بادئة للوح مليح بالعربية بخط يد حضرة بهاءالله أنزله في الآستانة عشية الخامس من جمادى الأولى ١٢٨٠هـ (١٩ تشرين الأول ١٨٦٣م) وهي ذكرى إعلان دعوة حضرة الباب. يُعرف هذا اللوح، استدلالاً من مطلعه، بـ"لوح الناقوس" وأيضًا لوح "سبحانك يا هو". نزل تلبية لالتماس قُدّم بواسطة حضرة عبدالبهاء من قبل أحد أصحاب حضرة بهاءالله واسمه محمد علي تمباكو فروش الإصفهاني.[1] كان إنزال اللوح في تلك المناسبة الكريمة مصدر سرور عظيم لقلوب المحتفلين بذلك العيد التاريخي. يفتتح حضرة بهاءالله اللوح بهذه الكلمات:

"يا راهب الأحدية اضرب على الناقوس بما ظهر يوم الله واستوى جمال العز على عرش قدس منير."

من هذه الأسطر القليلة نستشف لمحة من جلال اللوح وسموّه. وكغيره من الألواح النازلة قرب إعلان دعوة حضرة بهاءالله، فإنه ينبض بقوة تتحدّى الوصف مما لا يمكن

([1]) هو الشخص نفسه المشار إليه في المجلد الأول، الصفحة 304. انظر أيضًا الصفحة 361 من هذا المجلد.

أن تصدر سوى من قلم المظهر الكلي الإلهي. ففيه يعجز المرء عن وصف ألفاظ حضرته التي لا تضاهى أصالة وعمقًا، إضافة إلى روعة جمالها وإيقاعها. إن صياغة ألفاظه تصلح لترديد الجماعة مما يساعد على خلق جو من الفرح والغبطة الروحية عند اشتراكهم بتلاوته.[2] بعبارات جلية جليلة يعلن اللوح الذي نزل بعد مغادرة بغداد بفترة قصيرة، ارتقاء شمس ظهور حضرة بهاءالله إلى أعلى بروجها، مؤكدًا بأن الذي كان مستورًا[3] خلف حجبات الغيب قد ظهر، ويمجّد قوة أمره وجلاله، ويصرّح بظهور يوم الله، ويدعو أهل الفردوس الأعلى ليعدّوا أنفسهم عسى أن يصبحوا لائقين للفوز بشرف لقاء الله،[4] ويأمر أحباءه بأن يبتهجوا ويهللوا لمجيء المحبوب، ويدعو الممكنات لإبلاغ البشرية ببشرى هذا الظهور. وأخيرًا يدعو لأصحابه عسى أن ينقطعوا عما سواه، وتتّقد أفئدتهم بنار محبته وتتطهّر عن الهوى. يدعو لهم أيضًا، لو ثبتوا على الانقطاع لخدمة أمره، بالغلبة على كل من على الأرض.

يدلّل تاريخ الأمر الكريم دلالة كافية على تحقق ذلك الدعاء. فبعون الله تمكّن محبّوه، على ما واجهوه من اضطهاد وحرمان من أي نفوذ دنيوي، من الانتصار على

([2]) هذا يختلف عن صلاة الجماعة التي لا يؤديها البهائيون (عدا في صلاة الميت). تتلى الألواح بلغتها الأصلية من قبل شخص واحد. وأحيانًا إذا وُجدت عبارة متكرّرة في اللوح، كان من المعتاد أن يشارك الآخرون في تلاوة العبارة إذا كان ذلك مناسبًا.

([3]) حضرة بهاءالله.

([4]) انظر المجلد الأول، الصفحة 316، الحاشية (1).

قوى الظلام بل وحققوا مكتسبات خالدة لأمر مولاهم. وقد صمم ملكان مستبدان، هما ناصر الدين شاه والسلطان عبد العزيز، بروح من العداء الراسخ على اقتلاع سدرة الدين الوليد من جذورها. حاول الأول، وهو الذي في عهده استشهد حضرة الباب وذُبح أتباعه بالآلاف، قصارى جهده لإطفاء نور الأمر الإلهي بل حتى محو اسمه من صفحات التاريخ، في حين أن الآخر حبس مؤسس الدين وفرض أشد القيود عليه وعلى جماعته. مع ذلك فإن الدين البهائي اليوم منتشر ومستقر في كل أنحاء العالم، بينما أتباعه، وهم يمثلون شتى الألوان والأجناس والأمم يعملون على نشر دينه بسرعة وهمّة مدهشتين. فهم قاموا ولا زالوا يقومون بنحو متزايد على لفت انتباه البشرية المعذبة لحقائق الدين الأساسية وتاريخه وتعاليمه ومؤسساته المنتشرة حول العالم وقوته الفاعلة في إيقاظ الأرواح وإحياء النفوس.

في الدورات الإلهية السابقة، كما هو الحال في هذا اليوم، اختار الله لخدمة أمره نفوسًا، رجالاً ونساء، امتازوا بالوداعة والتواضع. عن أولئك يحدّثنا القرآن الكريم قائلاً: **"ونريد أن نمنّ على الذين استضعِفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين."**

كذلك يردّد الإنجيل مثل هذا القول: **"طوبى للودعاء لأنهم يرثون الأرض."**

بإعلاء أمره ونصرته على يد أبسط خلقه وأدناهم، فإن الله قد أثبت سطوة مظاهر أمره وقدرتهم. إذ حينئذ لن يجرؤ أحد على اتهامهم بأنهم أسّسوا صرح الدين بتأثير المشهورين من الناس ونفوذهم. يكفي مثلاً أن نتذكّر بأن أول فئة قليلة من النفوس الذين اعترفوا بالسيد المسيح وآمنوا به لم يكونوا من البارزين في المجتمع. بل كانوا يعامَلون بازدراء ثم اضطهِدوا. كذلك كانت حال من سلك دربهم ومات الكثير منهم استشهادًا. إلاّ أنه رغم ضعفهم الظاهري شاعت رسالة السيد المسيح في أقطار الدنيا وتأسّس دينه. وهذا واحد من البراهين على أحقية دعوته.

في أوائل الدعوة المحمدية أيضًا لم يكن في صفوف أتباعه سوى أفراد من المستضعَفين والمنبوذين. ولذلك سخر القوم من النبي قائلين: **"ما نراك إلاّ بشرًا مثلنا وما نراك اتّبعك إلاّ الذين هم أراذلنا بادي الرأي وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين."** وكان الرسول محمد (ص) نفسه موضع اعتراض مرير بل واضطِهد من قبل أهل مكة ثم هاجر أخيرًا إلى المدينة طلبًا للأمان. مع ذلك ورغم ما كان فيه هو وصحابته من المظلومية والهوان، انتصروا بقوة الله على أعدائهم ونفخوا حياة روحية في جماهير عظيمة من الناس.

إلاّ أن الغرب ينتقد كثيرًا الكيفية التي تأسّس بها الإسلام. ومرجع ذلك كله تقريبًا إلى ما روّجه مسيحيون متعصّبون من تقارير مشوهة عبر القرون، ناكرين تعاليم الإسلام

الروحية ومبادئه النبيلة، محوّرين تفسير معتقداته، مبالغين في نقل خلفياته غير المألوفة وناشرين المفتريات الشنيعة بحق مؤسّسه.

هناك رواية شيّقة حول هذا الموضوع تركها الحاج محمد طاهر المالميري في مذكراته، ينقل فيها فحوى لقاء طويل بينه وبين مبشر مسيحي في يزد كان يعرف الفارسية جيدًا وكان هدف اللقاء إثبات أحقية دعوة حضرة بهاءالله. ففي أثناء الحوار طُرح موضوع الإسلام. فيما يلي ترجمة لجزء بسيط من النقاش:

قال لي (المبشّر المسيحي): 'وما بال محمد؟' قلت: 'أعتقد من ناحية بأن نفوذ كلمة محمد كان أعظم من عيسى.' كان ردّه السريع: 'كيف يمكن أن يكون ذلك؟' فأجبت: 'تعلم بأن عيسى ولد ونشأ في الأرض المقدسة وهي من بلاد الشرق حيث أعلن رسالته وأمضى سنوات بعثته قبل صلبه أخيرًا. لكن رغم ذلك وبعد مرور ما يزيد على ستة قرون فإن دينه لم ينفذ في أي من البلدان الشرقية بنحو يستحق الاعتبار، بينما اليوم كل مسلم تلتقي به في الشرق يؤمن بأن المسيح روح الله وأن الكتاب المقدس كلمة الله. فالإيمان بعيسى والاعتراف بسماوية دعوته لم يبلغا أهل الشرق إلاّ بواسطة محمد. أليس كذلك؟' فأجاب: 'نعم هذا صحيح، لكنه تمّ بالسيف.' أضفت شارحًا: 'طيلة ثلاثة عشر عامًا عاشها محمد بعد بعثته في مكة لم يستعمل خلالها سيفًا رغم تعرّضه طوال تلك المدة لسخرية وظلم متزايدين.

بلغ به الحال إثر اشتداد ضراوة الاعتداءات بحيث كان يلتجئ إلى كهوف الجبال، وأخيرًا اضطر للانتقال إلى المدينة طلبًا للأمان. أمّا المناوشات التي اشترك فيها محمد فكانت جميعها دفاعية في طبيعتها. مع ذلك دعنا نقبل صحة ما تدّعي. دعنا نفترض بأن محمدًا نشر دعوته بحدّ السيف في حين أن المسيح حقّق ذلك بعون روح القدس. تعلم بأن السيف أداة مميتة، فإنها تقتل، تدمر وتمزق. مع هذا فإنه تحول بيد محمد إلى بركة مستورة. فبفضلها حصل ثلاثمائة مليون نسمة على نعمة الحياة الروحانية، وتوحدت عدة فئات متحاربة وارتبطت شتّى المجتمعات برباط الوحدة والأخوة، ورفعت من شأن القبائل العربية المتوحشة إلى أرفع ذرى المعرفة والحضارة، أنصف الآن في حكمك، أيهما أصعب تحقيقًا وأدعى للعجب؟ بعث الحياة هكذا عن طريق السيف أم بالوسائل الروحية؟ بعبارة أخرى، أيهما أحذق، طبيب يشفي مرضاه حالاً بإعطائهم الدواء، أم آخر يخفف العلة بعقاقير مسكّنة؟'

'حسن،' قال، 'لكن محمدًا كان شهوانيًا له عدة زوجات بينما المسيح لم يتزوج أصلاً.' أجبت: 'إن كنت تقصد بقولك، المسيح لم يتزوج، التأكيد على سمو فضائله السماوية فأخشى أن تكون مخطئًا. ذلك لأنه كان للمسيح جسد كأي إنسان آخر، وأما حقيقة أنه ما تزوّج فربما مردّها إلى أنه لم يجد مستقرًا له حيث إنه في فترة بعثته القصيرة كان دائم التنقل في البلاد. أم تريد أن تنسب افتقاد الدافع الجنسي

الغريزي إلى المسيح مما يدلّ ضمنًا على نقص جسماني وليس فضيلة سماوية إذ إن رسل الله كاملو البنية روحيًا وجسديًا. هذا فضلاً عن أن المسيح نفسه لم يقل شيئًا ضد الزواج. لنسلّم جدلاً بمقولتك، ومع ذلك لا يمكن لأحد أن ينكر بأن محمدًا استطاع أن يبث في أتباعه أعلى درجات الطهر واستقامة الخلق، وينمي درجة رائعة من الاستقامة والوعي الروحي بين أفراد مجتمع بلغ من الانحطاط أدناه في تلك الأيام بحيث وصل إلى حضيض الهمجية والجهالة. واليوم بعد ما يزيد على ١٣٠٠ سنة من دعوته فإن أثر قوته الروحية التي ما تزال تربط بين شتى المجتمعات العرقية يمكن مشاهدته واضحًا في كل مكان. إن الروحانية وغريزة الجنس ضدّان كالماء والنار. وبالنسبة لمحمد فإنه وفّق بين هاتين القوتين المتضادتين في داخل نفسه، بينما أنت تقول بأن المسيح كان ذا طبيعة روحانية فقط. أترك الآن لتقديرك المحايد كي تقرّر فيما إذا كانت طبيعة محمد كانت أكثر روحانية أم شهوانية. إلاّ أنه يجب ألاّ نضلَّل بمثل هذه الاعتبارات. فسبق للمسيح أن علّم: [ستعرفون الشجرة من ثمارها].' بعدها قال: 'وماذا عن حقيقة دعوة بهاءالله؟'..

في أغلب ألواحه النازلة في الآستانة وأدرنة، كما في "لوح الناقوس"، يحثّ حضرة بهاءالله أتباعه على تطهير قلوبهم من الشهوات الدنيوية، والتمسّك بأمره لئلاّ تمنعهم كلمات المربيين ووساوسهم عن صراط الحق. عندما ندرس الأحداث التي انتهت بعصيان ميرزا يحيى في أدرنة حينئذ سندرك أهمية هذه النصائح. وكما سنرى فإن عدة

مؤمنين بارزين، كان بعضهم موجودًا فعلاً في الآستانة حين نزل "لوح الناقوس"، قد وقعوا في براثن هذه الأزمة التي ما فتئت أحاطت بجامعة الأحباء وراح ضحيتها عدد منهم تحت تأثير قوتها الشيطانية.

لكن رغم هذا، استمرت نصائح حضرة بهاءالله تنهمر على أصحابه بلا فتور. ذلك من أبرز مآثر حياته إذ شمل كل من اتصل به بواسع عطفه وعناياته، سواء كانوا من المؤمنين أو غيرهم. لم يستثنِ سوى من كاد أن يضر أمر الله، لأنه في هذه الحالة، كان يصرفه عن محضره المبارك. أمّا لأتباعه فكان ذراعًا تحميهم ويدًا ترشدهم في كل خطوة على دربهم. يبدو هذا جليًا في كل كتاباته. فهي تطفح نصحًا وحثًّا وتوجيهًا في المجالات الروحية والخلقية والاجتماعية. بل حتى في الأمور الشخصية لم يمنع حضرة بهاءالله عن أتباعه هديه وإرشاده. لنضرب مثلاً واحدًا يخصّ رحلته إلى الآستانة: قبيل الرحيل نصح حضرته أتباعه ممن سيرافقوه بأن يطلقوا شعر رؤوسهم على غرار ما تفعله طائفة البكطاشية.[5] أشار عليهم بذلك ليحتموا بعض الشيء وينالوا ما كان لتلك الطائفة من مكانة وقدر كبيرين في تركيا. لكن ينبغي ألاّ تؤخذ هذه الحادثة على أنها دليل بأن حضرة بهاءالله كان قد سمح للرجال بإطالة شعر رؤوسهم، بل ما نصح به آنذاك كان بدافع جعلهم أقرب للانسجام مع التقليد الشائع في ذلك الزمن وبالتالي ضمن سلامتهم وراحتهم.

([5]) إحدى الطرق الصوفية المتنفذة جدًا حينذاك.

وفي إيران أيضًا كان للدراويش[6] بعض الاحترام والتقدير. فلم يتعرض الناس لهم أو يضايقوهم بسبب اعتقادهم أو تقاليدهم. في تلك الأيام كان الفضول طبيعيًا لدى الناس لتحري هوية كل غريب يدخل مدينة ما، واستقصاء حقيقة مأربه من الزيارة. لكن لم تكن الحال كذلك بالنسبة لدرويش قادم، إذ كانوا يجوبون البلاد دومًا من مدينة لأخرى. لذا ألف الناس رؤيتهم قادمين من أطراف بعيدة، ولم يروا فيهم ما يوجب تحري أمرهم. في أوائل نشأة أمر الله استفاد من ذلك الوضع عدد من المبلّغين البهائيين في إيران بإطالة شعورهم وارتداء ملابس الصوفيين. وبذلك تمكّنوا من التجول في طول البلاد وعرضها دون مواجهة مضايقة أو اضطهاد.

في أيام حضرة الباب وحضرة بهاءالله آمن عدد من الدراويش الأصليين، من أشهرهم ميرزا قربان علي،[7] أحد شهداء طهران السبعة. بطبيعة الحال استمر أولئك بهيأتهم كدراويش، حاملين بيدهم إناء العطية (الصدقة) وينشدون المدائح الإلهية في الأسواق والمحلات العامة. كان ترتيل الدراويش لتلك المدائح، وهي عادة قصائد لشعراء مشهورين، من أكثر أعمالهم لفتًا لسمع الجمهور. تجدر الإشارة إلى أن بعضهم راح يلهج بمدائح حضرة بهاءالله علنًا رغم نصحه أتباعه دومًا بلزوم التعقل والحكمة بعدم تبليغ أمره علنًا. ولما كان المصير الحتمي لذلك جلب نتائج وخيمة من الأذى

---

(6) يطلق لفظ "درويش" في إيران على فرق أو طرق المتصوفين.

(7) راجع "مطالع الأنوار".

والاضطهاد، اضطر أخيرًا إلى إرسال رسالة شديدة إلى بعض الدراويش يأمرهم بالكف عن تلك التصرفات والتقيد بالحكمة.

نظرًا لما اعتادوا عليه من طبيعة التسول والتقشف، فإن بعضهم ممن أصبحوا بهائيين بدأوا بتفسير أحكام الدين بما يتفق وأهواءهم. في أحد ألواحه يستنكر حضرة بهاءالله مواقف وممارسات أولئك الذين قصدوا حياة العزلة، ويصرّح بأن لا همّ لهم سوى الأكل والنوم.

ولمّا كان حضرة بهاءالله قد أنزل "الوديان السبعة" لصوفي، وبيّن فيها الشروط الروحانية التي ينبغي توفرها لدى الإنسان لينال غاية مراده وبما أنه نفسه ذهب للسليمانية بهيأة درويش، فربما يتوهّم بعض الأشخاص بأن تعاليمه تتفق مع ممارسات التصوف أو تؤيدها. عند دراسة تعاليم حضرته سيثبت عدم وجود ذلك. فظهوره على هيأة درويش طيلة عامين في جبال كردستان يُعزى لظروف حياة العزلة التي عاشها آنذاك، ولا يمكن الاستنتاج منها على كونها إقرار أو قبول طريقة حياة المتصوفة. يقول المبدأ الأساسي للصوفية بأنه يمكن للإنسان أن تكون له تجربة شخصية مع الله بواسطة طلب الاتصال مع مصدر الكون والحقيقة، وبذلك ينال حرية روحية مطلقة تجد في رحابها حواسه الفطرية منتهى نشاطها، لكن دين حضرة بهاءالله لا يقرّ بإمكانية وجود علاقة مباشرة بين الخالق والخلق،

بين اللامحدود والمحدود، إذ إن "أبواب عرفان ذات الأزل مسدودة على وجه الممكنات". والسبيل الوحيد لمعرفة الإنسان خالقه هو بمعرفة مظاهره. إن أحد المعتقدات البهائية الرئيسة هو أن تقدّم الإنسان الروحاني يعتمد على إقراره بالتعاليم الإلهية والعمل وفقها وليس نوازع حياته وأوامرها.

فرق جوهري آخر بين العقيدة الصوفية والبهائية هو أن حضرة بهاءالله منع الرهبنة والتسول. ذلك بأن أعطى لأتباعه مفهومًا جديدًا للانقطاع ونكران الذات يتعارض مع رأي المتصوفين عامة.

في أحد ألواحه يصرّح حضرة عبدالبهاء بأن "الوديان السبعة"[8] ترشدنا عند الولوج في درب الانقطاع. وهدفها تعليم السالك محبة الله. لكنها لا تتغاضى أو تبرر موقف كثير من الدراويش الذين يعتزلون الدنيا. هؤلاء يجولون في الأرض كالرحّالة، وهم مضطربو الفكر كسالى، يعيشون دون عمل عبئًا على الآخرين. وكما سبقت الإشارة في المجلد الأول (من "ظهور حضرة بهاءالله")، فإن "الوديان السبعة" أنزلت إجابة عن أسئلة الشيخ محيي الدين، وهو رجل عالم ضليع بفلسفة الصوفية. في أحد ألواحه يذكر حضرة بهاءالله بأنه كتب "الوديان السبعة" قبل إعلان دعوته بلسان القوم المعنيين. واستعمل فيها بحكمته الإلهية، المصطلحات الصوفية المتداولة آنذاك

([8]) انظر المجلد الأول، الصفحة 101.

تسهيلاً لفهم السائل. كما يؤكد في اللوح ذاته بأن أي شخص في هذا اليوم أقبل إليه وعرف مقامه حقًا، فكأنما قطع فعلاً الوديان السبعة الواردة في الكتاب.

منع حضرة بهاءالله التنسك والتسول والرهبنة، ويصرّح بأن هناك في بعض الجزر أناس يعيشون بين الوحوش في الأدغال معزولين عن العالم، لا يأكلون ويعيشون حياة نسك ويرون أنفسهم أئمة الناس. ولكن لن يقبل واحد من هذه الأعمال عند الله. يصف في اللوح نفسه ملاحظاته في بغداد عندما شاهد رجلاً في أحد أحياء الصوفيين يضرب نفسه بشدة حتى سقط أرضًا مغمىً عليه.كان ذلك العمل الأحمق، الذي يفترض فيه أن ينمي السيطرة على النفس، يُعتبر في نظر جماعته أو طائفته عملاً جليلاً وخارقًا للعادة. إلاّ أن حضرة بهاءالله يؤكد بأن الله يضجر هؤلاء الناس.

في أحد كتبه قام العلاّمة البهائي الشهير ميرزا أبو الفضل بتقص دقيق لانحطاط الإسلام ناسبًا ذلك لنشأة التصوف ونموه. وبعد أن يصف إسهام الإسلام العظيم في حضارة البشرية في مجالات المعرفة كالطب والعلوم والرياضيات والفلك، يقول:

... وقد استنارت سائر بلاد الإسلام وممالكه **من المشرق إلى** المغرب **بأنوار** العلوم وأزهرت بها. **ولكن يا للأسف** فقبل أن تؤتي أشجار المعارف ثمارها، ظهرت أشواك التديّن في حدائق هذه الأمة المستنيرة (الإسلام). فحينما يتفشى **مرض**

التصوف، الذي هو بمنزلة الفلج والشلل في الأعضاء السليمة لكل أمة، فإنه يزيل تمامًا نشاطها وتقدّمها وغلبتها ونفوذها. هذا هو الداء الذي حلّ بأمة الإسلام. فانشغل جمع كثير باسم الزهد وتصفية النفس، في المغالاة بالأذكار والعبادات... ولو أنه والحق يقال بأن من هؤلاء ظهر بعض من كبار الرجال وبسبب زهدهم الحقيقي انجلت مرايا بعض القلوب بأنوار الحقيقة، لكن مع ذلك لأن أغلبهم كانوا عبدة أهوائهم بدلاً من عبادة الله، وطالبي رئاسة لا دين، فإنهم غالبًا ما ابتدعوا طرق عبادات باطلة وأسسوا مصطلحات خارجة عن أصول الدين وأسسه. ثم استطاعوا بشتى أنواع الحيل تحويل قلوب الملوك والأمراء نحوهم. كان نتيجة ذلك فتور همّة أولئك الملوك وبرودة حماسهم في نشر المعارف، وأحلّت تبجيل علماء الدين وعبادتهم محل إشاعة المعارف والفنون. إلى أن غربت أنوار العلوم تدريجًا وحلّت ظلال التصوف مكانها.

كتاب ظهور حضرة بهاءالله، أديب طاهرزاده، المجلد ٢